

## أولاً: التعريف بالدولة الفاطمية .

إن الاختلاف حول امكانية التعريف بالفاطميين قائم على أساس محاولات كثيرة لاكتشاف جذورهم، وكيفية نشوئهم وارتقائهم ثم تراجعهم وانتهاء خلافتهم .

فالدولة الفاطمية توصف بأنها أنموذج واضح للدولة المذهبية في التاريخ الإسلامي. فهي دولة شيعية قامت على أساس انتسابها إلى رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من طريق علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام). يترأسها الإمام الذي يحكم كمرشد ديني وروحي وصاحب السلطة المستمدة من الله، ولها مذهب خاص هو المذهب الاسماعيلي نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق<sup>(١)</sup>. وتوصف بأنها الخلافة الشيعية الوحيدة في الإسلام<sup>(٢)</sup>.

ويقسّم المؤرخون التاريخ الفاطمي خلال مدّته الكلاسيكية على طورين الأول طور شمال إفريقيا دام أكثر من ستين سنة، من إنشاء الحكم الفاطمي في شمال إفريقيا سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م، حتى الفتح الفاطمي لمصر عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م، وتحويل مقر الخلافة إلى هناك سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م<sup>(٣)</sup>. أما الطور الثاني فيغطي حوالي ١٢٠ سنة من ٣٦٢هـ/٩٧٣م، حتى وفاة الإمام الخليفة المستنصر عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م<sup>(٤)</sup>.

أما الطور الأول فيتمثل بجهود الأئمة الاسماعيليين إلى نشر دعوتهم في كثير من البلدان الإسلامية<sup>(٥)</sup>. وقد لقيت الدعوة نجاحاً كبيراً في بلاد المغرب وشمال إفريقيا نتج عنها قيام الخلافة الفاطمية بتلك البلاد في أواخر القرن الثالث الهجري، وكانت مصر تحت سيطرة

---

(١) ينظر: الاسماعيليون - تاريخهم وعقائدهم -، فرهاء دفتري، تر: سيف الدين القصير، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠١٤: ٢٧-٢٨ .

(٢) ينظر: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية - منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري - د. موسى لقبال، الشركة الوطنية، الجزائر، د. ط، د. ت: ٣٣٣.

(٣) ينظر: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية: ٢٦٠. وينظر: تاريخ الدولة الفاطمية، د. محمد جمال سرور، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٩٥: ١١ وما بعدها .

(٤) ينظر: الاسماعيليون - تاريخهم وعقائدهم -: ٢٠٦.

(٥) ينظر: رسالة افتتاح الدعوة - رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية -، للقاضي النعمان بن محمد (ت ٣٦٣)، تح: وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧: ١٠.

السلطان العثماني في وقتها<sup>(٦)</sup>. وقد عملت الفرق الشيعية عن طريق شبكة الدعاة من ان تسيطر فكرياً وروحياً على مُوجّهات التفكير في العالم الإسلامي. ومن خلاله تمكنوا من تأسيس الدولة الفاطمية، في خلافة (المعز لدين الله)<sup>(٧)</sup> الذي تمكن بسياسته الذكية من التوسع شرقاً، لإدراكه بعدم صلاحية المغرب لتكون مركزاً لدولتهم لذا اتجهت أنظارهم إلى مصر لما تمتاز به من موقع جغرافي فريد في قلب العالم العربي يتيح لها فرصة التمدد نحو المراكز الإسلامية مثل مكة والمدينة ودمشق. فتمكنوا من السيطرة على مصر، بعد صراع دام لسنوات توج بحملة قادها (جوهر الصقلي)<sup>(٨)</sup> تمكنت من ضم مصر إلى حوزة الفاطميين<sup>(٩)</sup>. ليبدأ الطور الثاني من أطوار الدولة الفاطمية التي أصبحت مركز الخلافة الفاطمية وعاصمتها سميت أولاً بالمنصورية وثم سميت بالقاهرة. وقد اهتم الفاطميون بالحياة الاجتماعية فانمازت بمظاهر البذخ والترف<sup>(١٠)</sup>. قل ان نجد لها مثيلاً في أي عصر من عصور مصر الإسلامية. واهتم الفاطميون بالاحتفال بالأعياد الدينية في شيء كثير من الأبهة والعظمة، كما اهتموا بالجوانب الثقافية فعملوا على نشر الثقافة العلمية والأدبية التي تتصل بالمذهب الاسماعيلي كالفقه والتفسير<sup>(١١)</sup>. وقد بلغ الثراء المعرفي غايته، بالرغم من ان الايديولوجيا الفكرية والدينية للفاطميين تختلف عن الثقافة الدينية التي كانت سائدة في مصر إلا أنهم بخبرتهم السياسية استطاعوا ان يترجموا أفكارهم لتتناغم مع فكر الآخر فنتجت "أنظمة فكرية ميتافيزيقية بالغة التعقيد"<sup>(١٢)</sup> والثراء. لتصبح السلطة بيد الخليفة أو الإمام مزدوجة الصلاحيات فهي سلطة سياسية ودينية.

(٦) ينظر: تاريخ الدولة الفاطمية: ١١-١٢-١٣.

(٧) وهو الخليفة الفاطمي الرابع تولى الخلافة سنة (٣٤١هـ-٣٦٥هـ).

(٨) هو قائد الجيوش الفاطمية وقد اعتقه الفاطميون ويذكر انه من أصل سلافي وقد حمل نعوتاً متنوعة، مثل الصقلي (من صقلية) والصعلبي (او السلافي) والروحي (او الإغريقي) ثم ترقى في المراتب ليصبح كاتباً للخليفين المنصور والمعز، وبعدها قائداً لجيوش الخليفة المعز، ينظر: الاسماعيليون - تاريخهم وعقائدهم-: ٢٨٢. وينظر: تاريخ جوهر الصقلي -قائد المعز لدين الله الفاطمي-، د.علي إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٦٣: ٩-١٠.

(٩) ينظر: تاريخ الدولة الفاطمية: ١٣. وينظر: الاسماعيليون -تاريخهم وعقائدهم-: ٢٨١-٢٨٢-٢٨٣.

(١٠) ينظر: تاريخ الدولة الفاطمية: ١٣. وينظر: الفاطمية دولة التفاريج والتباريح، جمال بدوي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٤: ٨-٩.

(١١) ينظر: ديوان الإنشاء الفاطمي وجهوده الكتابية، سمير عبد الوهاب عبد ربه العساسة: ٢٠.

(١٢) الاسماعيليون -تاريخهم وعقائدهم-: ٢٥٦.

ولم يكتفوا بفتح مصر، بل عملوا على بسط سلطان الدولة الفاطمية على بلاد الشام واخذوا دمشق سنة (٣٥٧هـ) واستسلمت الحجاز طوعاً للمعز الفاطمي سنة (٣٥٩هـ) واستمرت السيادة الفاطمية على الحجاز في ما عدا مراحل متقطعة حتى سقوط هذه الأسرة .<sup>(١٣)</sup>

ولعل مدة الازدهار الفاطمي كانت تقترن بإحكام سيطرة الإمام بالسلطة وعدم مشاركته لأحد، إلا ان هذا لم يدم طويلاً ففي نهاية عهد المستنصر أصبح زمام الأمور بيد الوزراء وقادة الجيش مما اضعف من سلطان الإمام الفاطمي. نتيجة الأزمات الاقتصادية والسياسية، لتتسبب بضعف الدولة وتولي الوزراء الصلاحيات الخاصة بالخليفة وتدهور البلاد وسقوط السلالة الحاكمة<sup>(١٤)</sup>.

لذا فان عصر الدولة الفاطمية يوصف بأنه ازهى العصور الأدبية التي رأتها مصر نتيجة حالة الرخاء والاستقرار الداخلي. فعصور الحضارة والازدهار غالباً ما تكون مادة خصبة للإبداع لاسيما الإبداع الأدبي بشعره ونثره.

---

<sup>(١٣)</sup> ينظر: م.ن ٢٨٨ .

<sup>(١٤)</sup> ينظر: الاسماعيليون -تاريخهم وعقائدهم-: ٢٦٠ .